

قضايا البيئة في الفقه الإسلامي

بحث مقدم

لمؤتمر القانون والبيئة

المنعقد في الفترة من ٢٣، ٢٤ إبريل ٢٠١٨

بكلية الحقوق - جامعة طنطا

للدكتور

أحمد محمود عبد العال على العوضى

مدرس المدخل لدراسة الفقه الإسلامي - بكلية القانون

جامعة عمر المختار - فرع القبة (سابقاً)

عضو الجمعية المصرية للقانون الدولي

وعضو الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ



سورة فصلت آية رقم ٣٥

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"

مقدمة

تمثل البيئة شريان حياة الإنسان منها يتنفس هواءه، ومنها يحصل على غذاؤه، وفيها يسير ويتحرك، وفي داخلها ينمو ويتعلم ويعمل ويتكاثر ويكد ويتعب ويستريح، فحرى بالإنسان وتشريعاته أن يحرص كل الحرص على المحافظة على هذه البيئة، كما حرصت الشريعة الإسلامية وكذلك الفقه الإسلامي على ذلك، لتكون بيئة نظيفة، بيئة صحية، بيئة منعشة مشجعة على العمل والإنتاج والإبداع والتقدم.

هذا والإنسان لا ينفصل عن بيئته، بل هو في حالة تفاعل دائم معها، فإذا كانت هذه البيئة بيئة نظيفة صحية ممتعة، انعكس ذلك على إنسان هذه البيئة في حياته، وفي عمله وفي سلوكه وتصرفاته، وأخلاقه وإنتاجه وإبداعه كذلك وفي المقابل إذا كانت هذه البيئة غير نظيفة، وغير صحية، أي بيئة ملوثة، انعكس ذلك على إنسان هذه البيئة في رداءة عمله وخموله، وقلة إنتاجه، ومرضه وضعفه، وسوء صحته، وانحطاط أخلاقه، وقباحة ألفاظه.

هذا ومما يؤكد ذلك أن الريف قديماً كانت بيئة نظيفة مما انعكس على الإنسان الريف في صحته وقوته، وغزارة إنتاجه، وأخلاقه الطيبة.

هذا ومن الناحية الشرعية والفقهية تلاحظ أن الفقه الإسلامي اهتم بالمحافظة على البيئة اهتماماً كبيراً ودعا إلى صيانتها من التلوث، فالفقه المالكي بصفة خاصة اهتم في نوازله بالقضايا البيئية اهتماماً بالغاً حيث دعا في كتابات الفقهاء المالكيين إلى منع التلوث الناتج من دخان الأفران إذا كان قريباً من الناس وتأذوا به، كما كان المحتسب يراقب مصادر الأدخنة التي تؤذي الناس ويقوم بمنعها، كما يراقب مخلفات دور الدبغ، وما شابهها من مخلفات الأفران ويأمر بمنعها¹

تقسيم: هذا وسنتناول عرض هذا البحث من خلال المباحث التالية

المبحث الأول: التعريف بالبيئة وموقف القرآن والسنة النبوية منها

ونعرضه من خلال مطلبين:-

المطلب الأول: التعريف بالبيئة لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: التعريف بالبيئة لغة

الفرع الثاني: التعريف بالبيئة اصطلاحاً

المطلب الثاني: موقف القرآن الكريم والسنة من البيئة

الفرع الأول: موقف القرآن الكريم من البيئة

الفرع الثاني: موقف السنة النبوية من البيئة

¹ انظر الدكتور / مصطفى البعزالي: فقه الحفاظ على البيئة في ضوء المقاصد الشرعية من خلال نوازل الغرب الإسلامي

المبحث الثاني: موقف الفقه الإسلامي من البيئة

ونعرضه من خلال المطالب التالية

المطلب الأول: اهتمام الفقه الإسلامي بالطهارة وجعلها أول أبوابه

المطلب الثاني: الحفاظ على البيئة يحفظ النفس وهو مقصد شرعي

المطلب الثالث: الفقه المالكي يمنع الضرر الناتج عن مخلفات دور الدبغ والأفران

المطلب الرابع: الإنسان ليس مالكا للأرض حتى يفسدها وإنما هو مستخلف

المبحث الأول

التعريف بالبيئة وموقف القرآن والسنة النبوية منها

تمهيد وتقسيم:-

للبيئة تعريفات كثيرة حسب الزاوية التي ننظر منها إلى البيئة، فهناك تعريف لغوي أهتم به أهل اللغة، وهناك تعريف اصطلاحي جاء به قانون البيئة، كذلك نتعرض لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية من البيئة وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف بالبيئة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من البيئة

المطلب الأول

التعريف بالبيئة لغة واصطلاحاً

تمهيد وتقسيم:

جرى العمل في معظم الأبحاث العلمية على وضع تعريف لغوي للموضوع يحدد المراد به لغوياً، وكذلك تعريف اصطلاحي للموضوع للتحديد دلالة هذا المصطلح عند المتخصصين، وعلى ذلك نتناول كلاً من التعريف اللغوي، والتعريف الاصطلاحي للبيئة من خلال الفرعين التاليين:-

الفرع الأول

التعريف اللغوي للبيئة

تعريف البيئة لغة: بأنها كل ما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيهما^١، كما يقال عن البيئة لغة المنزل والحال، ولذا يقال بيئة اجتماعية، وبيئة سياسية^٢.

الفرع الثاني

التعريف الاصطلاحي للبيئة

ورد في قانون البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ تعريفاً للبيئة بأنها المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية، وما يحتويه من مواد، وما يحيط به من هواء وماء وتربة، وما يقيمه الإنسان من منشآت^٣

المطلب الثاني

^١ المعجم الوجيز الصادر عن مجمع اللغة العربية، طبعة وزارة التربية والتعليم، سنة ١٩٩٩م، باب (بوا) ص ٦٦ وكذلك المعجم الوسيط

الصادر عن مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٢م-١٣٩٢هـ، باب (بوا) ص ٧٧

^٢ المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٢م-١٣٩٢هـ، باب (بوا) ص ٧٧

وكذلك المعجم الوجيز الصادر عن مجمع اللغة العربية، طبعة وزارة التربية والتعليم، سنة ١٩٩٩م، باب (بوا) ص ٦٦

وأيضاً لسان العرب لابن منظور: المجلد الثاني، طبعة جديدة محققة، الناشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م،

باب (بوا)، ص ١٧٦ وكذلك: المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٢م-١٣٩٢هـ،

باب (بوا) ص ٧٧

^٣ قانون البيئة رقم ٤ لسنة ١٩٩٤، المادة ١

موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من البيئة

تمهيد وتقسيم:-

اهتم القرآن الكريم بالبيئة اهتمامًا كبيرًا ، كما اهتمت السنة النبوية بنفس القدر بالبيئة ويقضايا البيئة؛ وذلك تمشيًا مع رحمة الله للعاملين فالسنة جاءت رحمة من الله ، وأشارت إلى كل من شأنه أن يحقق هذه الرحمة، ولذا فقد قال تعالى في بيان دور الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للإنسانية والكون كله **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)**^١

وعلى ذلك نتناول اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالبيئة وذلك من خلال الفرعين التاليين

الفرع الأول

اهتمام القرآن الكريم بالمحافظة على البيئة

وردت في القرآن الكريم آيات قرآنية كثيرة تدعو إلى المحافظة على البيئة، وتحث الناس على عدم إفساد البيئة، لتكون بيئة نظيفة وبيئة صحية.

هذا ومن هذه الآيات القرآنية التي تدعو إلى المحافظة على البيئة وعدم إفسادها بأي وسيلة قوله تعالى **"وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ"**^٢

أي لا تفسدوا في الأرض بأي شكل من الأشكال، فلا تفسدوا في الأرض هواءها بالتلوث الهوائي، ولا تفسدوا في الأرض مائها بالتلوث المائي وهكذا.

كذلك قوله تعالى **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**^٣ ولا تقتصر الطهارة هنا على طهارة البدن فقط، بل هي أعم من ذلك لتشمل طهارة الثوب وطهارة المكان، وطهارة البدن، وطهارة الشارع، وطهارة الطريق، وطهارة الحي، وطهارة المحافظة، والدولة، وطهارة الأرض عامة.

هذا ويستتف من هذه الآية الكريمة أيضًا أن الله سبحانه وتعالى يحب البيئة الطاهرة النظيفة غير الملوثة، ويحب البيئة الجميلة فالله جميل يحب الجمال في كل شيء والله محسن يحب الإحسان في كل شيء، ويكره القبح والقاذورات في كل شيء، ولذلك جعلت القاذورات والنجاسات والمؤذيات بيوتًا ومراعي للشياطين تنفيرًا للناس منها.

وكذلك قوله تعالى **(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)**^٤

وَأَيْضًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)^٥

^١ سورة الأنبياء - الآية رقم ١٠٧

^٢ سورة الأعراف - آية رقم ٥٦

^٣ سورة البقرة - الآية رقم ٢٢٢

^٤ سورة النساء - الآية رقم ٢٩

^٥ سورة المائدة - الآية رقم ٣٢

هذا ويستشف من الآيتين السابقتين ضرورة الحفاظ على حياة الإنسان، ومنع أي خطر يهدد حياة الإنسان مثل تلوث البيئة التي يعيش فيها، بل إن تلوث البيئة يعتبر من أشد صور المساس بحياة الإنسان خاصة في هذا العصر الذي زادت فيه الملوثات وتنوعت مثل التلوث الإشعاعي، والتلوث الكيميائي وعوادم السيارات.... الخ

هذا وهناك آيات قرآنية أخرى تأمرنا بعدم الاقتراب من الأذى منها قول الله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)^(١)

هذا ونستنتج من هذه الكريمة أنه إذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا بعدم الاقتراب من الأذى والقاذورات، فهذا الأمر يتضمن ضمناً ألا نكون نحن سبباً في جلب هذا الأذى وهذه القاذورات التي تلوث البيئة وتفسد في البر والبحر.

الفرع الثاني

اهتمام السنة النبوية بالمحافظة على البيئة

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تأمرنا بالمحافظة على البيئة، ومن هذه الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم (وتميط الأذى عن الطريق صدقة)^(٢)

هذا وإذا كان في كف الأذى عن الطريق صدقة، فإن وضع الأذى والقاذورات في الطريق العام أثم ومعصية لله ورسوله، وذنب كبير، وإضرار بالناس وإفساد في الأرض وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء أو التغوط في مجراه، كما نهى صلى الله عليه وسلم عن الشرب من الماء النجس أو التوضوء منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه في الجنابة)

هذا وإذا نظرنا إلى هذا الحديث نجد أنه يحافظ على البيئة من التلوث خاصة البيئة المائية ، لأن الماء هو سبباً لوجود كل كائن حي وبتلوث الماء يهلك كل كائن حي، مصداقاً لقوله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا)

- وأيضاً حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع الأشجار لأنها تمد البيئة بالأكسجين النقي اللازم لتنفس وحياة الكائنات الحية

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قطع سدرت ، صوب الله في رأسه النار)^(٣)، كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحيأ أرض ميتة فهي

^(١) سورة البقرة - الآية رقم ٢٢٢

^(٢) صحيح مسلم (٤٩٨/١) برقم (٧٢٠)

^(٣) رواية الطبراني

له) ^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم لنفس العلة (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً إلا كان له به صدقة) ^(٢)

فهذه الأحاديث تدعو إلى تنظيف البيئة والحفاظ عليها وتنميتها بالزراعة والأشجار لكي يقل الهواء الملوث المحمل بثاني أكسيد الكربون ويزيد الهواء النقي

المحمل بالأكسجين النقي المنعش لحياة جميع الكائنات الحية وأيضاً شجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إزالة الأذى من الطريق لحسن الاستفادة من البيئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينما رجل يمشي بطريق فوجد غصن شوق فأخذه فشكر الله فغفر له) ^(٣)

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) ^(٤) أي لا تضر نفسك ، ولا تضر غيرك ، لأن المسلم مأمور ألا يضر نفسه ولا يضر غيره بالإفساد في البيئة التي يعيش فيها ويعيش فيها الناس مثل وضع القاذورات في الطريق العام، وإطلاق عوادم السيارات في الطريق يتنفس منها المارة، فتدخل هذه العوادم في أجسامهم وأعصابهم ، مما يضر بصحتهم ونفسياتهم، وأعصابهم، ويتسبب في جلب الأمراض الرئوية، والأمراض العصبية وغيرها إليهم وأيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها) ^(٥) وذلك حتى تقوم القيامة على بيئة طاهرة إمعاناً في المحافظة على طهره البيئة بصورة لا مثيل لها، وتأكيدياً منقطع النظير على ضرورة حفظ البيئة وصيانتها من أي تلوث وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم) ^(٦)

ونستنتج من هذا الحديث كغيرة حرص الإسلام على عدم الاعتداء على البيئة التي يسير فيها المسلم ، وأجب اللعنة على من يلوث هذه البيئة ، واللعنة هي الطرد من رحمة الله ، والطرده من احترام المسلمين له، والطرده من تعامل المسلمين معه ، لأنه أذى المسلمين في طرقهم وبيئتهم .

^(١) صحيح البخاري ج ٣، ص ١٠٠

^(٢) صحيح البخاري ج ٣، ص ٩٤

^(٣) صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٩

^(٤) المستدرک علی الصحيحین

^(٥) صحيح مسلم

^(٦) رواية الطبري

المبحث الثاني موقف الفقه الإسلامي من البيئة

تمهيد وتقسيم :

يظهر اهتمام الفقه الإسلامي بالبيئة، وبقضايا البيئة في حرص الشريعة الإسلامية على أن يغتسل المسلم خمس مرات في اليوم والليلة ليذيل الأدران الظاهرة والباطنة عنه ، فضلا عن وضع ضوابط دقيقة في الطهارة تكفل المسلم نظافته .

هذا وبخصوص اهتمام الفقه الإسلامي بالبيئة ذهب جانب من الفقه الإسلامي إلى اعتبار النصوص التي تدعو إلى النظافة الشخصية والوضوء والغسل تتعلق بحماية البيئة في الفقه الإسلامي

هذا وما من شك في تأثير التلوث البيئي على الحياة الإنسانية بصفة عامة ، كما أن التلوث البيئي يؤدي في بعض حالاته إلى المساس بالحق في الحياة ، ولذلك فإن النصوص التي تدعو إلى الوضوء والغسل والنظافة الشخصية تتضمن بصافه عامة حماية للحق في الحياة وحماية البيئة من التلوث، لأن التلوث نجس لا بد أن نتطهر منه ونذيله⁽¹⁾ وعلى ذلك نعرض لموقف الفقه الإسلامي من قضايا البيئة من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول : اهتمام الفقه الإسلامي بالطهارة وجعلها أول أبوابه

المطلب الثاني : الحفاظ على البيئة يحفظ النفس وهو مقصد شرعي

المطلب الثالث : الفقه المالكي يمنع الضرر الناتج عن مخلفات دور الدبغ والأفران

المطلب الرابع : الإنسان ليس مالكا للأرض حتى يفسدها وإنما هو مستخلف

المطلب الأول

اهتمام الفقه الإسلامي بالطهارة وجعلها أول أبوابه

إن اهتمام الفقه الإسلامي بالطهارة والنظافة اهتمام غيرعادي، ذلك أن الفقه الإسلامي عني عناية كبيرة بالطهارة وجعل باب الطهارة أول أبوابه في جميع كتب ومصنفات ومخطوطات الفقه الإسلامي .

(1) الدكتور / أشرف توفيق شمس الدين : الحماية الجنائية للبيئة في التشريع المصري ، الناشر دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، سنة ٢٠١٢ ، طبعة مزيدة وملقحة طبقاً لأحدث التعديلات وأحكام القضاء ، ص ٤٤

فالطهارة في كتب الفقه الإسلامي جاءت قبل الصلاة ، وقبل الصيام، وقبل الحج ، بل جعلت هذه الطهارة مقرونة بالوضوء كشرط لقبول العبادات كعبادة الصلاة وعبادة الطواف بالكعبة في الحج والعمرة

هذا واهتمام الفقه الإسلامي بالطهارة والنظافة سواء باستخدام الماء أو باستخدام الحجارة وذلك لإزالة النجاسة ، كما أن اشتراط الفقه الإسلامي لصحة الصلاة طهارة الجسم والثوب ، ومكان الصلاة يؤكد اهتمام الفقه الإسلام بنظافة البيئة بكل عناصرها ذلك أن اشتراط الفقه الإسلامي طهارة مكان الصلاة يشير إلى معنى هام ألا وهو ضرورة طهارة الأرض كلها ، واشتراط الفقه الإسلامي طهارة ماء الوضوء يشير إلى معنى هام ألا وهو ضرورة طهارة المياه كلها سواء كانت مياه بحار أو مياه أنهار أو آبار أو عيون أو غيرها، والحفاظ على جميع أنواع المياه بصورة طاهرة ونظيفة ونبعد عنها جميع أنواع التلوث، وذلك لأن الماء عنصر هام للحياة ووسيلة الطهارة والنظافة، ولقد عني الإسلام عناية فائقة بالمياه وبنظافة المياه، حيث فرق وميز الفقهاء المسلمون بين أنواع المياه ، وما يصلح منها للشرب والتطهر، وما لا يصلح كل هذا من أجل تحقيق مقصد فقهي إسلامي ألا وهو النظافة لعنصر الحياة ألا وهو عنصر الماء (١)

هذا وقد اهتم الفقه الإسلامي بنظافة الإنسان نفسه وطهارة جسمه ، وثوبه قبل أن يشرع في الصلاة أو العبادة إمعاناً من الفقه الإسلامي في الاهتمام بالنظافة، وأنها من الدين، بل جعلت بالنظافة ، وإنها من الدين ، بل جعلت النظافة من الأيمان، وبالتالي يكون التلوث منافي للإيمان بالله ورسوله ، وذلك لأن الأرض أرض الله ، فمن يلوثها بالقاذورات فهو يندس أرض الله، فكيف يتفق هذا مع الإيمان بالله ، وكذلك الماء هو ماء الله فمن يلوثه بالقاذورات والملوثات فهو يعتدي على ماء الله ويلوثة ويفسده فكيف يتفق مع هذا الأيمان بالله .

كذلك فإن الهواء هواء الله وهذا الغلاف الجوي صنعة الله بما فيه من غازات خلقها الله للخير والصلاح، ولكي تتنفس منه المخلوقات وتعيش، فإذا جاء مخلوق يلوث هذا الهواء بالقاذورات والمواد السامة والمواد الكيميائية الضارة ، فانه يفسد هواء الله الذي أراد أن يكون نظيفاً لكي تتنفس منه المخلوقات وتعيش ، فكيف يتفق هذا السلوك المفسد لهواء الله مع الأيمان بالله.

هذا وقد ربط الفقه الإسلامي بين النظافة والتوبة ، فالنظافة والطهارة تشبه التوبة التي يتطهر بها المسلم من الذنوب والمعاصي والتلوث بالقاذورات يشبه الخبائث والمعاصي والذنوب والفواحش والموبقات التي تدين الإنسان العاصي

(١) أنظر في ذلك

الدكتور / جعفر عبد السلام : الإسلام والحفاظ على البيئة، سلسلة فكر المواجهة رقم (١٦) الصادرة عن رابطة الجامعات الإسلامية سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م ، ص ٥ وما يعدها

إذن الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية والدين الإسلامي كله يدعو إلى النظافة في كل شيء حتى النظافة المعنوية، وهذا هو الرقي الحضاري في أسمى صورته .
كما أن الفقه الإسلامي ينهي عن تلوث البيئة بأي شكل من الأشكال، حتى أن الفقه الإسلامي نهى عن التلوث السمعي قال تعالى (وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)^(١)

المطلب الثاني

الحفاظ على البيئة يحفظ النفس وهو مقصد شرعي

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي مقصد حفظ النفس هذا وفي الحفاظ على البيئة من التلوث حفاظاً على الصحة العامة للإنسان وبالتالي حفاظاً على النفس البشرية التي هي من مقاصد الشريعة الإسلامية الخمس (حفظ النفس ، حفظ العقل ، حفظ المال ، حفظ النسل ، حفظ الدين) وتسمى بمقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة فالنصوص التي تحمي بها الشريعة الإسلامية النفس البشرية وحققها في الحياة تحمي أيضاً البيئة^(٢) لن بالحفاظ على البيئة نظيفة. يعتبر حفاظاً وصيانة للنفس البشرية تطبيقاً للقاعدة الفقهية (كل ما يؤدي إلى الواجب فهو واجب) فإذا كان الحفاظ على البيئة يحفظ النفس البشرية ويحمي حقها في الحياة الكريمة فإن الحفاظ على البيئة يعتبر من أوجب الوجبات وفي هذا السياق يقول الله سبحانه وتعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)^(٣)

كذلك قوله تعالى (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)^(٤)

وقوله تعالى (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)^(٥) ففي هذه الآية أحل الله القتل قصاصاً وأحل القتل من أفسد في الأرض وهذا ويشمل الإفساد في الأرض الاعتداء على البيئة وتلويثها

فانظر كيف حمى الإسلام البيئة من التلوث بحسم الحد وجعل جريمة الإفساد في الأرض بما فيه تلوث البيئة حداً للقتل

^(١) سورة لقمان - الآية رقم ١٩

وأنظر في التلوث السمعي الدكتور / أشرف توفيق شمس الدين ، المرجع السابق ص ٤٨

^(٢) أنظر الدكتور / أشرف توفيق شمس الدين ، المرجع السابق ، ص ٤٣

^(٣) سورة النساء الآية رقم ٢٩

^(٤) سورة المائدة - الآية ٣٢

^(٥) سورة المائدة - الآية رقم ٣٢

المطلب الثالث

الفقه المالكي يمنع الضرر الناتج عن مخلفات دور الدبغ والأفران

يمنع الفقه الإسلامي خاصة الفقه المالكي الضرر الناتج عن مخلفات دور الدبغ، وما شابهها من مخلفات الأفران، والحمامات، وكذلك يمنع الفقه الإسلامي تلوث الهواء بالنفايات واصطبلات الدواب، كذلك يمنع الفقه الإسلامي الضرر الناتج عن المشاريع المجاورة للعمران، ويجعل دور مؤسسة الحسبة دور رقابي في رقابة الملوثات الهوائية.

هذا ويوصى الفقه الإسلامي بتنمية الأراضي بالتشجير تنمية للبيئة وحفاظاً عليها وذلك من خلال النوازل الفقهية بهدف حمايتها لما لها من آثار كبيرة تعود على الإنسان، وباقي الكائنات الأخرى بالخير العميم^١

كذلك اهتم الفقه الإسلامي اهتماماً كبيراً بالمحافظة على التوازن البيئي، والحكمة الجيدة للموارد الطبيعية بغرض الحفاظ على الرأسمال البيئي قال تعالى (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْفَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)^٢

يضاف إلى ذلك أن مؤسسة الحسبة من الناحية العملية استطاعت أن تسبق في كثير من جوانبها ما تنادي به المنتديات العلمية الحالية للحفاظ على البيئة من التلوث رغم قلة الإمكانيات بالنسبة لمؤسسة الحسبة، وهذا دليل صادق يؤكد مدى اهتمام الفقه الإسلامي بالمحافظة على البيئة داءً ودواءً.

المطلب الرابع

الإنسان ليس مالكا للأرض حتى يفسدها وإنما هو مستخلف

إن نظرة المشرع الإسلامي للإنسان نظرة تبين مكانة هذا الإنسان من الكون ومن الأرض التي يعيش عليها، فالإنسان ليس مالكا للأرض وإنما هو خليفة مستخلف فيها، ولذا يجب عليه أن يتصرف تصرف الأمين وفي حدود هذه الخلافة بأن لا يأتي ما من شأنه أن يمس هذه الأرض بالضرر أن ينتقص منها أو يفسدها، لأنها ليست معدة له وحده، وإنما هي معدة لكل الأجيال التي ستأتي بعده إلى أن يرث الله أرضه، ومن عليها، والتي يجب أن يرثها نظيفة وسليمة كما سمها لخليفته نظيفة وسليمة^٣

^١ انظر بصفة عامة

الدكتور/ مصطفى البعزوي: فقه الحفاظ على البيئة في ضوء المقاصد الشرعية من خلال نوازل الغرب الإسلامي

^٢ سورة الحجر - الآية ١٩

^٣ انظر في ذلك الدكتور / أشرف توفيق شمس الدين، المرجع السابق، ص ٤٥

وفي هذا يقول الله تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ) ^١
وكذلك قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ) ^٢

^١ سورة البقرة الآية رقم ٣٠

^٢ سورة الأنعام - الآية رقم ١٦٥